

الياقوتة

الفصل الثالث .

بادر بالأعمال الصالحة .

طوبى لمن بادر عمره القصير فعمر به دار المصير وتهيأ لحساب الناقد البصير قبل فوات القدرة وإعراض النصير .

قال عليه السلام : [بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا ؟ أو غنى مطغيا أو مرضنا مفسدا أو موتنا مجها أو هرما مفندنا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر] .

كان الحسن يقول : عجبت لأقوام أمروا بالزاد ونودي فيهم بالرحيل وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون .

وكان يقول : يا بن آدم : السكين تشحد والتنور يسحر والكبش يختلف .

وقال أبو حازم : إن بصاعنة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان كсадها فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير وكان عون بن عبد الله يقول : ما أنزل الموت كنه منزلته ما قد غدا من أجلكم مستقبل يوم لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يدركه إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره بغضتم الأمل وغروره .

وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول : إنا هـ ذهب درهمي وهو يذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري وقد كان هـ أقوام يبادرن الأوقات ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات .

فقيل عن عمر بن الخطاب هـ : إنه ما مات حتى سرد الصوم .

وكانت عائشة هـ تسرد وسرد أبو طلحة بعد رسول الله هـ أربعين سنة وقال نافع : ما رأيت ابن عمر صائما في سفره ولا مفطرا في حضره .

قال سعيد بن المسيب : ما تركت الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة وكان سعيد بن جبير يختتم القرآن في ليالتين وكان الأسود يقوم حتى يحضر ويصغر وحج ثمانين حجة .

وقال ثابت البكري : ما تركت في الجامع سادنة إلا وختمت القرآن عندها وقيل لعمرو بن هانيء : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟ قال : مائة ألف إلا ما تخطيء الأصابع .

وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلاً وكان الليل كله يبكي فتقول له أمه : يابني قتلت قتيلا فيقول : أنا أعلم بما صنعت نفسي .

قال الجمامي : لما حضرت أبو بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال : لا تبك وأشار إلى زاوية في البيت إنه قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة .

قال الربيع : وكان الشافعي به يقرأ في كل شهر ثلاثين ختمة وفي كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلوات واعلم أن الراحة لا تنال بالراحة ومعالي الأمور لا تنال بالفتور ومن زرع حصد ومن جد وجد .

□ در أقوام شغلهم تحصيل زادهم عن أهاليهم وأولادهم ومال بهم ذكر المال عن المال في معادهم وصاحت بهم الدنيا بما أجا بوا شغلا بمرادهم وتوسدو أحزانهم بدلا عن وسادهم واتخذوا الليل مسلكا لجهادهم واجتهاDEM وحرسوا جوارحهم من النار عن غيهم وفسادهم فيما طالب الهوى جز بناديهم ونادهم :

(أحيوا فؤادي ولكنهم ... على صيحة من البين ما توا جميما) .

(حرموا راحة النوم أجفانهم ... ولفوا على الزفرات الصلوعا) .

(طوال السواعد شم الأنوف ... فطا بوا أصولا وطا بوا فروعها) .

أقبلت قلوبهم ترعن حق الحق فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق فالآبدان بين أهل الدنيا تسعى والقلوب في رياض الملوك ترعى نازلهم الخوف فصاروا والهين وناجاهم الفكر فعادوا خائفين وجن عليهم الليل فبا توا ساهرين وناداهم منادي الصلاح هي على الفلاح فقاموا متوجهين وهبت عليهم ريح الأسحار فتيقطوا مستغفرين وقطعوا بند المواجهة فأصبحوا واصلين فلما رجعوا وقت الفجر بالأجر بادى الهجر يا خيبة النائمين